

٢٧

ملف المستقبل
أسرار هي مشاهد !!!

روايات
مصرية للجيب



الفخ الزجاجي



١ - التحول المذهل ..

انبثقت أضواء الكشافات القوية من كل جانب ،
لتسقط في منتصف (الأستديو) الواسع ، حيث يتم
تصوير أفلام الهولوسينا المجسمة ، وارتفع صوت المخرج
البدين صائحا في الفنانين والممثلين ، ليتخذ كل منهم مكانه ،
استعداذا لبدء التصوير ، وتحول صياحه إلى صراخ
عصبي ، حينما لمح بعض من يتحركون في تكاسل ،
وارتفعت الأصوات المتداخلة فترة طويلة ، قبل أن يسود
الصمت التام داخل (الأستديو) ..

وبعد أن اتخذ كل منهم مكانه ، زفر المخرج (عصمت
شوقي) في ضجر ، وأخذ يجفف العرق من فوق وجهه
المكنتظ الحليقي ، ثم قطب حاجبيه الكثين ، وضافت عيناه
الواسعتان ، وهو يبحث في غضب عن ممثل غائب ، ولم
يلت أن داعب شعره الناعم القصير في خيرة ، قبل أن يقول :



سلوى



نور الدين



محمود



رمزي

— أين الأستاذ (مدوح خالد) ؟ لم لم يصل
حتى الآن ؟

تقدّم شابٌ طويل القامة ، مستطيل الوجه ، مستقيم
الأنف ، ضيق العينين أزرقهما ، له شارب ضخم ، وشعر
ناعم كثيف ، وقال في ضيق :

— يبدو أنه ما زال يرفض مشاركتي بطولة هذا الفيلم .
ظهر الحرج لحظة على وجه (عصمت) ، ثم قال في
لهجة ودود :

— لا ريب أنك واهم يا أستاذ (أشرف) .. صحيح
أنك وجه جديد ، ولكن الأستاذ (مدوح) ممثل قديم ،
واثق بقدراته ، وهو لن يناصب العداء مثلاً مبتدئاً ..
عفواً .. مثلك .

صاح (أشرف) في غضب :

— ممثل مبتدئ ؟! .. ولكني أنا الذي طالبت بوجوده
في الفيلم .. إنه لم يقم ببطولة واحدة منذ خمسة أعوام على
الأقل .

ازدرد المخرج ريقه ، وقال محاولاً تهدئة الموقف :

— حسناً يا أستاذ (أشرف) .. سأحدثه بنفسى و....

قاطعه (أشرف) صائحاً في غضب :

— بل سأحدث إليه بنفسى ، وأضع حدّاً لغطرته
هذه ، التي لا مبرر لها .

أسرع (أشرف) الخطأ نحو غرفة (مدوح) ، في نهاية
الممر الطويل ، المتصل بصالة التصوير ، وأسرع خلفه
المخرج ، محاولاً تهدئته .. ولم يكد (أشرف) يصل إلى غرفة
(مدوح) حتى دق بابها في عجل ، وقبل أن يتلقى جواباً
فتح بابها ودخل ..

أسرع (عصمت) يحاول الدخول خلفه ، ولكنه
فوجئ بالباب قد أغلق برتاجه الإلكتروني .. فدق الباب
عسى أن يسمحوا له بالدخول ، ولكن أحدهم لم يجبه ،
وسمع صوت (أشرف) مرتفعاً يقول في غضب :

— إذن فأنت ترفض تمثيل هذا الفيلم بصحبتى ،
يا أستاذ (مدوح) .

ساد الصمت لحظة ، ثم سمع (عصمت) صوت
(ممدوح) الهادئ بحيد :

— ولماذا أفعل يا أستاذ (أشرف) ؟ .. لا يوجد نار
شخصي بيننا .

صاح (أشرف) في غضب :

— أنت إنسان حاقد .. تكره كل ممثل متفوق ؛ لأنهم
أهملوك منذ خمس سنوات .. هل نسيت أنه لولاي ما عدت
مرة ثانية إلى الشاشة ؟

صرخ (ممدوح) في غضب :

— كُفّ عن غرورك هذا أيها الشاب .. بل أنا
وضعتك تحت الأضواء .. هل نسيت أن خطاب التوصية
الذي منحتك إيّاه ، هو الذي فتح لك أبواب الشهرة ؟
انطلقت من قم (أشرف) ضحكة ساخرة عالية ،
وصاح :

— بل هي موهبتي التي وضعتني في هذه المكانة أيها
العجوز .. إن خطابك لم يكن أكثر من أداة لتحقيق المشيئة
الإلهية .

ساد الصمت طويلاً بعد هذه العبارة ، حتى أن
(عصمت) شعر بالقلق ، وعاد يدق باب الحجر ، وهو
يقول :

— اسمح لي بالدخول يا سيّد (ممدوح) .. إنه مجرد
سوء تفاهم بسيط ، ويمكنني توضيح الأمور بسهولة .

أتاه صوت (أشرف) غاضباً :

— صّة أنت أيضاً أيها المعوّه .. هل تظن أن (ممدوح
خالد) الممثل العظيم ، يحتاج إلى واسطة لفض مشاكله ؟
نطق (أشرف) العبارة الأخيرة في سخرية مريرة ، ارتفع

بعدها صوت (ممدوح) ثائراً ، وهو يصرخ :

— أنت أيها الطفل الناشئ تسخر مني .. أنا الذي
أعمل باهولوسينا ، من قبل أن تولد أنت ..

كان من الواضح أن ثورة (ممدوح) عارمة ، حتى أن
(عصمت) أخذ يدق الباب في قلق ، على حين تجمّع عدد
من العاملين بالأستديو أمام الباب ، يرجون أحد
المتشاجرين أن يسمح لهم بالدخول .. وازدادت ثورة
(ممدوح) وهو يصرخ :

— أنت يا من تظن نفسك أعظم أهل الفن ، ما زلت
في بداية الطريق .. إنك كالزجاج هشّ ، يسهل كسره ..
هل تفهم ما أقوله ؟ .. أنت مجرد زجاج هشّ .

وفجأة ارتفع صوت رهيب كفحيح آلاف الأفاعي ،
وسمع جميع العاملين في وضوح صوت صرخة رعب عالية ،
خرجت من حجرة (ممدوح) ، وألقت رجفة شديدة في
أجساد الجميع ، حتى أن (عصمت شوقي) المخرج ، أخذ
يدقّ باب الغرفة في ذعر وقلق ، وهو يصرخ :

— ماذا حدث يا (ممدوح) ؟ .. ماذا حدث ؟ .. افتح
الباب .. أرجوك .

لم تمض إلا ثوانٍ ، حتى فتح (ممدوح خالد) الباب ،
والتقت عيون الجميع عند وجهه الشاحب .. كان يبدو
عاديًا بقماته الطويلة ، ووجهه المستطيل ، وإن حوَّله
الشحوب إلى ما يشبه اللون الأبيض ، وبدت عيناه
الواسعتان السوداوان زائغتين ، وهو يحذق فيهم في ذهول ،
بوجهه الخلق ، وأنفه المستقيم ، وشعره الجعد القصير ..

وبدا لهم كأن سنوات عمره الخمسين قد تضاعفت فجأة ،
وهو يفتح شفثيه في صعوبة ، متمنّا في ذهول :
— لقد .. لقد قضيت على الشاب المسكين .

دفعه (عصمت) جانبًا في جزع ، واندفع داخل
الغرفة يتبعه بعض العاملين ، ثم توقّف الجميع فجأة وقد
أصابهم الرعب ، واتسعت عيونهم ، وهم يحذقون في الممثل
الشاب .. فباستثناء ملبسه ، كان المسكين قد تحوّل فعلاً
إلى تمثال من الزجاج السميك البراق .



٢ - التحقيق ..

— ولكن ما نقوله أمر مذهل يا (نور) .. مذهل بكل ما في الكلمة من معانٍ .. كيف يتحوّل بشر إلى تمثال زجاجي، هكذا في لحظات ؟

سألت (سلوى) هذا السؤال في دهشة طبيعية ، وهي تتطلّع إلى زوجها الراحل (نور الدين) ، وهو يقود سيارته الصاروخية ، متّجهاً إلى (استديو مصر) ، واكتفى هو بهزّ كتفيه دون أن يحيبها ، على حين قال (محمود) ، الذي يجلس إلى جوار (رمزي) في المقعد الخلفي :

— أتحوّل إلى زجاج حقيقي ؟ أم إلى مادة تشبه

الزجاج ؟

سأله (نور) في اهتمام :

— وهل هناك فارق بين الأمرين يا (محمود) ؟

قال (محمود) في تأكيد :

— بالطبع .. فلقد نجح العلماء منذ منتصف ثمانينات القرن العشرين ، في تحويل بعض الكائنات الحيّة الدنيّة إلى ما يشبه الكريستال ، بعد تعريضها إلى كمية هائلة من الإشعاعات الذريّة ، والحرارة المركّزة .

ساد الصمت لحظة ، والجميع يفكّرون فيما قاله (محمود) ، إلى أن قال (رمزي) :

— ولكن استخدام هذه الوسيلة المتطوّرة يحتاج إلى إمكانيات ضخمة ، واستعداد مسبق .

عاد الصمت يحيم لحظة ، على حين لاح (الاستديو) ، وغمغم (نور) :

— دعونا لا نسبق الأحداث يا رفاق .. ها قد وصلنا ، وسنبحث كل شيء على مسرح التحوّل نفسه .

كان الارتباك يبدو واضحاً على وجوه الجميع في (الاستديو) ، كما يمكن القول إن الخيرة كانت هي القاسم المشترك بينهم ، ولقد بدت واضحة في صوت المخرج (عصمت) ، وهو يقول :

— لم أر في حياتي مطلقاً شيئاً كهذا .. رجل يتحول
إلى زجاج .. يا إلهي !! لو أنني أخرجت فيلماً بهذا المعنى ،
لا يهتمنى النقاد بالإغراق في الخيال .

وقف أفراد الفريق يتأملون في دهشة ذلك التمثال
الزجاجي السميك ، الذى يتوسط حجرة الممثل القديم
(ممدوح خالد) ، والذى يمثل رجلاً وسيم الطلعة ، تدل
ملائحه على الرعب والألم فى آن واحد ، ويرتدى ملابس
الممثل الشاب (أشرف البدوى) ..

وكان المشهد يبدو مخيئاً ، حتى أن (سلوى) غمغمت
في صوت مرتجف :

— يا إلهي !! إننى لم أر وجهاً يمثل الرعب والألم ،
كهذا التمثال الزجاجي .

قال (ممدوح) فى أسف وحزن :

— لقد كان هذا التمثال رجلاً حقيقياً ، من لحم ودم ،
منذ ساعة واحدة يا سيدتى ، أنا المستول عن هذه المسألة ،
وإن كنت لا أدري كيف .

التفت إليه (نور) ، وسأله فى اهتمام :

— أنت الوحيد الذى يعلم ماذا حدث داخل الغرفة ،
يا أستاذ (ممدوح) .. فهل يمكنك أن تقصّه علينا
بالتفصيل ؟

أغلق (ممدوح) عينيه فى ألم ، وكأنه يحاول محو
الذكرى من رأسه ، ثم قال فى بلاء :

— لقد كنت أضع اللمسات الأخيرة للمكياج الذى
سأظهر به فى الفيلم الجديد ، حينما اندفع (أشرف) إلى
غرفتى غاضباً ، وأغلق الرّواج الإلكتروني خلفه ، حتى أنني
توجّست شراً .

غمغم (عصمت) ، وهو يخفف العرق المتصبّب على
وجهه البدين :

— هذا ما حدث بالضبط ، وأنا أشهد بصحة هذا
الجزء .

نظر إليه (نور) نظرة صارمة ، وكأنه يطلب منه
الصمت ، ثم عاد إلى (ممدوح) قائلاً :

— أكمل يا سيد (مدوح) ، كلّي آذان صاغية .

ازدرد (مدوح) ريقه ، وتابع قائلاً :

— في البداية بدأ يسألني في حدة عن سبب رفض التمثيل أمامه ، ولقد حاولت أن أبين له خطأ توهمه هذا ، ولكنه ازداد حدة ، وبدأ في توجيه الإهانات إليّ ، حتى فقدت أعصابي .. كان يتهمني بأنني أحقد على تفوقي ، نظراً لإبعادي عن الهولوسينا منذ خمس سنوات ، وحاولت أن أفهمه في هدوء ، أن خطاب التوعية الذي منحه إياه ، هو الذي قاده إلى الشهرة ، ولكنه واصل إهاناته ، فوجدت نفسي أصرخ فيه ، أنه لا يساوي شيئاً ، وشعرت بطاقة مذهلة تندفق في عروقي ، وأنا أمسك كتفيه صارخاً أنه مجرد زجاج هش .. زجاج هش .

تحول (مدوح) إلى الانفعال الشديد في النصف الثاني من قصته ، حتى أن (عصمت) أسرع برئت على كتفه مهدّناً ، حتى استكان واستطرد :

— وفجأة .. خيل إليّ أن الطاقة المتدفقة في عروقي قد تحولت إليه ، ووجدت وجهه يتطوى في ألم ورعب ، ثم ارتفع فحيح قوي مؤلم ، وفوجئت بالمسكين يتحول بين يدي إلى تمثال من الزجاج ، حتى أنني أطلقت صرخة رعب عالية ، ووقفت أحدق فيه مذهولاً ، حتى تبهت إلى الطرقات العالية على الباب ، فأسرعت أفتحه ، ورأى الجميع ما صار إليه (أشرف) .

ساد الصمت الثام فور انتهاء (مدوح) من سرد قصته ، ثم التفت (نور) إلى الخرج البدين ، وسأله في هدوء :

— كم مضى من الوقت ، ما بين صرخة الأستاذ (مدوح) وصوت الفحيح ، ودخولكم إلى الغرفة ؟
مط (عصمت) شففيه ، وقال :

— هل تقصد كم مضى من الوقت ، بين آخر كلمة نطق بها (أشرف) ورؤيته له ، بعد أن تحول إلى تمثال زجاجي ؟
ابتسم (نور) لذلك الخرج ، وقال :

— هذا ما أقصده بالضبط يا سيد (عصمت) .

فَكَرَّ (عصمت) قليلاً ، ثم قال :

— حوالى ثلاث دقائق أيها الرائد .

ثم ابتسم في خبث ، وأردف :

— وحتى لو مضت ساعة كاملة ، فهذا الباب هو المدخل الوحيد للغرفة ، وليس هناك باب آخر ، أو نوافذ أيها الرائد .. بمعنى أدق ، من المستحيل إخفاء جثة رجل ، أو إخراجها ما لم تمر بنا .

بادله (نور) الاتسامة الحثيثة ، وهو يقول في هدوء :

— لن يمكنى الجزم بذلك ، قبل أن أقوم ورفاقى بفحص الغرفة بكل الوسائل التكنولوجية الممكنة يا سيد (عصمت) ..

شخب وجه (ممدوح) ، وصاح في غضب :

— هل تتهمنى بإفعال هذا الموقف ، وقتل (أشرف)

أيها الرائد ؟

حدجه (نور) بنظرة باردة ، وهو يقول في هدوء :

— من يدري ؟ .. ربما أفعل هذا بعد فحص الغرفة يا أستاذ (ممدوح) .

ضغطت (سلوى) زرّاً صغيراً ، توقّف بعدها الأزيز المنطلق من جهازها الصغير ، وانطفأت شاشته الخضراء ، واستدارت هي إلى (نور) قائلة :

— يمكننى أن أجزم بعدم وجود مخائى سرّية في هذه الغرفة أيها القائد .

سألها (نور) ، وهو يتأمل التمثال الزجاجى في ضيق :

— ألا يوجد حتى مخبأ صغير ، يكفى لإخفاء جثة رجل واحد ؟

عادت تهرّ رأسها نفياً في أسف ، على حين قال (محمود) :

— يمكننى أنا أيضاً أن أجزم بذلك أيها القائد .. وبالإضافة إلى ما أثبتته أجهزتى ، هناك دليل آخر على لحلول الحجرة من المخائى السريّة .

نظر إليه (نور) في تساؤل ، فأردف :

— فهذه الحجرة تقع وسط مكانين مفتوحين ، وهما
الممر الأمامي والممر الخلفي لصالة التصوير ، كما يحدها من
الجانب الثالث حائط (الأستديو) نفسه ، فهي أول غرفة
بعد مدخله ، أما من الجانب الرابع والأخير ، فهي تلتصق
بحجرة (المكياج) .

أشار (نور) إلى أرضية الغرفة ، وقال :

— قد يكون الخبأ أسفل الغرفة .

هز (محمود) و (سلوى) رأسيهما نفياً ، فظهرت
الخبرة على وجه (نور) ، ومدّ يده يتحسّس التمثال
الزجاجي ، وهو يقول :

— هل تريدون مني أن أصدق ، أن ممثلاً شاباً يفيض
بالحيوية ، قد تحوّل هكذا في لحظات إلى تمثال زجاجي
بارد ؟

صمت الجميع لحظة ، ثم قال (رمزي) :

— ولكن الدلائل تشير إلى أن هذا ما حدث بالفعل

أيها القائد .

ظهر التأثير على وجه (نور) ، وقال في حلق :

— ولكن كيف بالله عليكم ؟ كيف ؟ .. لقد

فحصنا معاً جدران الغرفة ، ولم نجد أية أجهزة تكنولوجية ،
يمكننا أن نعزو إليها هذا التحوّل العجيب ، فكيف حدث
بالله عليكم ؟

تردّد (رمزي) لحظة ، ثم قال :

— هناك تفسير في علوم ما فوق الطبيعيات ، ولكنني

أخشى أن ..

قاطعته (نور) ، متسائلاً في لهفة :

— هات تفسيرك يا (رمزي) .. ليس هناك

ما تخشاه .

عاد (رمزي) يتردّد لحظة ، ثم قال :

— هناك احتمال .. مجرد احتمال .. أن يكون (أشرف)

قد تحوّل إلى تمثال زجاجي بقوة الإرادة .. قوة إرادة

(ممدوح) ، وطاقة غضبه الهائلة .

٣ — ما وراء العقل ..

تطلع أفراد الفريق إلى (رمزي) في ذهول ، حتى أنه شعر بالحرج ، إلى أن عاد (نور) يسأله :
— ماذا تعنى بقوة الإرادة يا (رمزي) ؟ .. هل تريد أن تقول إن الإنسان قادر على تحويل آخر إلى زجاج ، مجرد أنه يرغب في ذلك ؟

ابتلع (رمزي) ريقه ، وقال :

— إن هذا يبدو مذهلاً للوهلة الأولى ، ولكن دعونا نسترجع كلمات الممثل (ممدوح) الأخيرة .. لقد قال إنه كان يصرخ في (أشرف) ، قائلاً إنه مجرد زجاج هش .. وفي هذه اللحظة شعر بطاقة هائلة تدفق في عروقه ، وتنقل إلى جسده (أشرف) ، فيتحوّل هذا الأخير إلى تمثال زجاجي ..
بدأ أفراد الفريق يؤلون انتباههم إلى (رمزي) ، الذي تابع في أسلوب منظم :

— لقد شعر (ممدوح) بغضب هائل ، حينما أهانه (أشرف) ، وتجمّع غضبه كله ، في رغبة عارمة لتأديب (أشرف) ، تحوّل هذه الرغبة إلى إرادة قوية ، تسعى لاسترداد المكانة المفقودة .. ثم نطق (ممدوح) بعبارة قائلاً إن (أشرف) مجرد زجاج هش .. وهنا كان الموقف ، وكأن هذه الإرادة المذهلة ، قد تلقت أمراً بتحويل (أشرف) إلى زجاج ، وانطلقت لتنفيذ الأمر .. وكان ما كان .

تبادل الجميع النظرات ، ثم غمغم (نور) :

— يا له من تفسير عجيب يا (رمزي) !!

قال (رمزي) مدافعاً عن رأيه :

— إن العقل البشري يمتلك قدرات مذهلة ، لا تظهر إلا في الأوقات التي يزيد فيها الانفعال عن معدله الطبيعي ، أيها القارئ .. فهناك أكثر من حادثة تاريخية تؤكد ذلك .
قال (نور) فجأة في حدة :

— ولكنني لا أجد إلى مثل هذا التفسير فوق الطبيعي ، إلا حينما تعجز التفسيرات الأخرى يا (رمزي) .

ثم تحرك نحو باب الغرفة ، وهو يقول في حزم :
— واصلوا بحثكم يا زقاق . وسأذهب أنا لاستجواب
الحاضرين .

جفف (عصمت) وجهه البدين ، وهو يقول في
توتر :

— لقد أخبرتك بكل ما لدى أيها الرائد .
قال (نور) في هدوء ، وبلهجة ودود :
— لست أريد المزيد عن الحادث نفسه يا سيد
(عصمت) .. إنما أردت سؤالك عن (ممدوح)
(أشرف) .. عن قدراتهما كممثلين ، عن نشأتهما ،
وفرة الاحتجاب التي واجهت (ممدوح) .

تطلع (عصمت) إلى (نور) في شك ، ثم تلفت
حواله ، وكأنه يبحث عمن يتقذه من هذا السيل من
الأمثلة ، ثم لم يلبث أن استرخى بحمده البدين فوق المقعد
الضخم ، الذي يجلس عليه ، وجفف عرقه في توتر ،
وازدد لهابه قبل أن يقول :

— هذا السؤال يشبه ما يلجأ إليه الصحفيون ، لانتزاع
المعلومات الهامة من أيها الرائد ، ولكنني سأجيبك عما
ترغب .

وتناول زجاجة من الماء المثلج ، جرعتها عن آخرها ،
وجفف شفاهه بتنديله . قبل أن يستطرد :

— لقد عملت مع (ممدوح خالد) في أوج مجده ،
حينما كان ممثلاً يافعا ، وشاباً وسيماً ، في أواخر الثمانينات
من القرن العشرين الماضي .. ولو أردت رأيي ، فهو ممثل
عبقري ، قلماً يجود الزمان بمثله .. حينما ترافقه وهو يؤدي
دوراً يُخيّل إليك أنه لا يمثل ، وإنما يعيش الدور بكل
أبعاده .. فهو يبدو شاحباً هزئلاً ، وهو يمثل دور رجل
عجوز مريض ، وينقلب إلى شخص قاس عنيف وهو يمثل
دوراً شريراً ، ثم تتحول تلك الملامح القاسية إلى انفعالات
ملائكية رائعة ، تبعث في نفسك الرحمة والحب ، حينما
يؤدي دوراً عاطفياً .. إنه أروع ممثل عرفته شاشات
الهولوسينا ، وحتى السينما العادية .. حتى صوته يمكنك أن

تشعر فيه بالقسوة الشديدة ، أو الحنان المتدفق .. بالألم
والفرح .. كل المشاعر البشرية .. ولكن
وهز رأسه في أسف ، ثم واصل بحزن :

— سوق الفن للأسف تصبغ رأى الجمهور .. صحيح
أن (ممدوح خالده) هو تحفة زمانه ، إلا أن إيرادات أفلامه
بدأت في الانخفاض منذ بدايات القرن الحادى والعشرين ،
وأنت لا تعرف منتجى هذه الأفلام .. إنهم يبحثون عن
الربح ، لا عن الفن ، ولهذا كسد سوق (ممدوح خالده) ..
بدأت أدواره تنقلص وتكتمش ، حتى اختفى وجهه تماماً
من الأفلام الحديثة .. وأكاد أؤكد أنه لم يؤد دوراً واحداً
منذ خمس سنوات على الأقل .

سأله (نور) :

— ولم أسندت إليه دوراً في هذا الفيلم إذن ؟

هز (عصمت) رأسه بلا معنى ، وقال :

— تصوّر أننى فعلت ذلك ، بناء على طلب المرحوم
(أشرف البدوى) .. لقد قال إنه معجب بالأستاذ

(ممدوح خالده) منذ حداثته ، وأنه يمتنى لو أسندنا إليه
دوراً ولو صغيراً في الفيلم .. ولقد اعتبرت هذا رداً
للجميل ، فلولا خطاب التوصية الذى حمّله إلى (أشرف)
من الأستاذ (ممدوح) ، ما فكرت في اختياره سينمائياً ..
ولكنه موهوب بحق .

سأله (نور) :

— كيف وصلت الأمور بينهما إلى هذا الحد ، ما دام
كل منهم قد أدى خدمة للآخر ؟

هز (عصمت) كتفيه ، وقال :

— الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ذلك ، ولكن
الأمر متورث منذ بدء التصوير ؛ فقد كان كل منهما يرفض
الظهور أمام الآخر ، حتى أننى أخذت أصوّر اللقطات
الفردية لكل منهما ، وحينما حان وقت ظهورهما معاً في
مشهد واحد ، حدثت هذه الحادثة العجيبة .

وأطرق برأسه ، وهو يستطرد في أسف :

— لقد كنت أثباً بنجاح مذهل لهذا الفيلم ، فكلاهما

أذى دوره بعقوبة منقطعة النظر .. عاد (مدوح) إلى
تألفه ، وتوفى عليه (أشرف) .

صمت (نور) لحظة ، كأنه يخشى صيغة مناسبة
لسؤاله القادم ، ثم قال فجأة :

— هل تعتقد أن (مدوح) يمكنه قتل (أشرف) ؟
اتسعت حدقتا (عصمت) ، واهتز وجهه البدين ،
وهو ينظر إلى (نور) بذهول ، ثم غمغم في دهشة :

— (مدوح) يقتل ؟! .. هذا مستحيل !!
واسترد جأشه ، وهو يستطرد في غضب :

— أنت لا تعرف (مدوح) جيداً أيها الرائد ، لكننى
أعرفه ، كما أعرف نفسى .. صحيح أنه طموح .. طموح
إلى أقصى حد ، ولكنه قتان .. فإنا بكل ما فى الكلمة من
معان ، فهو قد يسعى لاستعادة شهرته بكل ما يملك من
وسائل ، ولكنه لا يقتل أبداً مهما كانت الأسباب .. إنه
يكره قتل الحيوانات ، فما بالك بالبشر ؟

استمع إليه (نور) في هدوء ، ثم سأله :

— ما تفسيرك إذن لما حدث ؟

قلب (عصمت) كفيه ، ومطّ شفتيه ، وهو يقول فى
خبرة :

— لستى أستطيع إجابتك أيها الرائد .. إن الأمر أكثر
غرابة من أن أجده له تفسيراً .

سأله (نور) :

— هل رأيت بنفسك (أشرف) ، وهو يدخل حجرة
(مدوح) ؟

أوما برأسه موافقاً ، وقال :

— ومكنت أمام الحجرة ، حتى تحوّل إلى تمثال زجاجى
أيها الرائد .

همّ (نور) بسؤاله من جديد ، حينما اندفع أحد
العاملين داخل صالة التصوير ، وهو يصرخ فى رعب :

— النجدة يا رجال .. لقد رأيت شبحه .. رأيت
الشبح .

قفز (نور) من مقعده ، وأسرع العاملون يحيطون
بالرجل ، الذى كان يرتجف فى ذعر ، وصاح (نور)

يسأله ، وهو يمسك كفيه فى قوة :

٤ — شبح الضحية ..

حدّق (نور) في وجه الرجل بذهول لمدة ثانية واحدة ، ثم تركه وانطلق يعدو نحو غرفة المكياج ، وشاهد (ممدوح) يقف أمامها مندهشًا ، فسأله في جدّة :
— هل رأيت أحدًا يغادر هذه الغرفة ؟

هزّ (ممدوح) رأسه نفيًا ، فانتزع (نور) من سترته مسدسه الليزري ، ودفع باب الغرفة بقدمه ، ثم قفز إلى الداخل ممسكًا مسدسه بكلتا قبضتيه ..

كانت الغرفة مظلمة تقريبًا ، إلا من الضوء المتسرّب من الممر ، ولكن (نور) كان متأكدًا من أنها خالية من البشر والأشباح ، على حدّ سواء .. ومدّ (ممدوح) يده فأضاء الغرفة ، وهو يتساءل في دهشة :

— ماذا حدث ؟ .. لمّ هذا الصباح وهذا المهرج ؟
دار (نور) ببصره في الغرفة بعد أن أضيئت ، ثم أعاد مسدسه إلى سترته ، وهو يقول :

— أى شبح هذا أيها الرجل ؟ .. تكلم ..
أخذ الرجل يلهث كمن تعرّض لانفعال عنيف ، وقال وعيناه تتماثلان عن رعب بالغ :
— شبح الأستاذ (أشرف البدوي) .. رأيت شبحه في غرفة (المكياج) .. رأيته في وضوح ..



— لا شيء يا أستاذ (مدوح) ، إنه مجرد وهم
بصرى ، أصاب أحد العاملين من شدة تؤثر الموقف .

صاح العامل فى غضب وتأکید :

— ولكننى رأيت واضحا ، أقسم لكم .. رأيت شبح
الأستاذ (أشرف) داخل هذه الحجرة .

تبادل الجميع نظرات تحمل الشك والتساؤل ،
والدهشة ، إلى أن أشار أحد العاملين إلى (مدوح)
قائلا :

— لا ريب أنك رأيت أيضا يا أستاذ (مدوح) ، فقد
شاهدتك تغادر الغرفة منذ لحظات .

نظر الجميع إلى (مدوح) فى دهشة ، والفجر هو
ضاحكا بصورة زادت من دهشتهم ، وهو يقول :

— هكذا الأمر إذن !! .. يا له من التباس !!

سأله (نور) فى شك :

— ماذا تعنى يا أستاذ (مدوح) ؟

قال (مدوح) ، وهو يضحك :

— إن هذا الرجل لم ير شبح (أشرف) ، وإنما رأى أنا .
نظر إليه العامل فى شك وتساؤل ، على حين استطرد
هو فى هدوء :

— لقد كنت داخل الحجرة ، أزيل بعض المكياج الذى
كنت قد وضعته استعدادا للتصوير ، ولم أكد أطفئ
الأنوار ، حتى فتح هذا العامل الباب ، ويبدو أن حادث
المرحوم (أشرف) لم يكن قد توارى من ثأيا عقله بعد ، إذ
أنه تصوّرنى شبحه ، وفوجئت به يطلق صيحة عالية ،
ويسرع إلى صالة التصوير ، وحينما حضرت كنت أتساءل فى
دهشة عما دفعه إلى ذلك .

أطرق العامل خجلا ، وهو يغمغم :

— يبدو أن أعصابى متوترة للغاية اليوم .

ابتسم (نور) ، وقال وهو يربت على كتف العامل
مهذنا :

— لا عليك يا صديقى .. ربما كنت أكثرنا شجاعة .

ثم تنهّد ، وقال وهو ينظر إلى السقف فى شرود :

— أعتقد أنني أحتاج إلى الاجتماع برفاقي ، بعد كل هذا
القدر من التوتر ، لدراسة الموقف جيدًا .

* * *

أخذ (نور) يسير في توتر ، وهو يقول لرفاقه في ضيق
واضح :

— وهكذا يا رفاق ، كلما أردت التوصل إلى تفسير
منطقي ، وقفت في وجهي بعض الحقائق ، التي تتعارض
معه .

هز (رمزي) كفيه ، وقال :

— أخشى أن نجد أنفسنا في النهاية ، مضطرين لتصديق
قصة تحول (أشرف البدوي) إلى تمثال زجاجي .
وغمغم (محمود) :

— إنها قصة معقدة بالفعل أيها القائد ، برغم أنها تبدو
للوهلة الأولى بسيطة للغاية .

قالت (سلوى) ، وهي تومي برأسها موافقة :

— هذا صحيح ، فكل العاملين هنا شهود على

ما حدث ..

قال (نور) ، وكأنه يحدث نفسه :

— بل لدينا شاهد واحد ، ومتهم واحد ، ولكننا
عاجزين عن إثبات التهمة .

التفت إليه الجميع ، ومأله (رمزي) في اهتمام :

— وكيف هذا أيها القائد ؟

قال (نور) ، وقد زوى ما بين حاجبيه في تفكير
عميق :

— إنكم تعتبرون أن العاملين والمخرج ، الذين وقفوا
خارج الغرفة شهودًا ، أما أنا فلا أعدهم كذلك ، فهم لم
يشاهدوا (أشرف) وهو يتحول إلى تمثال زجاجي .. كل
ما رأوه هو شاب يدخل إلى حجرة الأستاذ (ممدوح) ، ثم
سمِعوا حوارًا غاصبًا ، أو على وجه الدقة شجارًا ، وبعده
رأوا تمثالًا زجاجيًا يرتدى ملابس (أشرف) .

قال (رمزي) في ضيق :

— ألا تعد هذه شهادة ؟ .. لقد مضت ثلاث دقائق
فقط ، ما بين آخر عبارة نطق بها (أشرف) ، وبين رؤيتهم

له كتمثال زجاجي .. كيف يمكن للأستاذ (مدوح) تدبير جريمته في هذا الوقت القصير ؟

قال (محمود) في اقتناع :

— هذا صحيح .. إنه يحتاج إلى قتل (أشرف) ، وخلع ملابسه ، وإخفاء جسده ، ثم وضع هذا التمثال الزجاجي ، وإلباسه ثياب (أشرف) .. وبغض النظر عن استحالة حدوث كل ذلك في هذا الوقت القصير ، فكيف أتق بالتمثال ؟ وكيف عرف أن (أشرف) سيذهب إليه في حجرته ؟ وأين أخفى جسده ؟ .. ألا ترى أنها أسئلة تبقى دون جواب شاف ؟

أغلق (نور) عينيه ، وأخذ يستعيد في ذهنه تفاصيل حجرة (مدوح) ، ثم فتح عينيه فجأة ، وقال في لهفة : — يا إلهي !! لقد بحثنا طويلاً عن الخافي السريّة داخل الحجرة ، حتى أننا أهملنا تفتيش الخبأ الطبيعي فيها يرافق . ثم أضاف في حق : — لقد تصرفنا كهواة مبتدئين .

سألته (سلوى) في فضول :

— أيّ غباً هذا يا (نور) ؟

قال في ضيق ، وهو يشيح بوجهه عنها :

— صوان ملابسه يا عزيزي .. لقد تسبنا تفتيش هذا المكان الأوّل .

تهدّد (مدوح خالده) ، وأشار إلى صوان ملابسه ، قائلاً في ضيق :

— يمكنكم تفتيشه أيها السادة ، ولكنكم لن تجدوا شيئاً .

فتح (محمود) صوان الملابس ، وأخذ يزيح ما به في تراخ ، على حين قال (مدوح) :

— هل تصوّر أيها الرائد أنسى قتلتي (أشرف) ، ووضعت جسده في الصوان ، ثم أخرجت هذا التمثال الزجاجي ، وألبسته ثيابه ، وادعيت تحوّلّه إليه ؟

تجاهل (نور) نبرات السخريّة في حديث
(مدوح) ، وقال وهو يتأمل الصّوّان الخالي إلا من ثياب
التّمثيل :

— كنت أعلم أننا لن نجد شيئاً .. كان من المفروض أن
نفشه فور وصولنا .

تتهّد (مدوح) في ضيق ، وفتح باب غرفته منادياً
الحارس ، ولم يكده يصل حتى سأله في صوت مرتفع ، ليتعمّد
أن يسمعه الجميع :

— هل دخل أحد إلى هذه الغرفة ، باستثناء هؤلاء
السادة ، منذ الحادث ؟

أجابه الحارس بالنفي ، فسمح له بالانصراف ، ثم
استدار إلى (نور) ، وقال :

— هائتذا ترى أنه لم يكن بإمكان أحد نقل الجثة ،
لو أنها كانت هنا أيها الرائد .

صمت (نور) لحظة ، ثم سأله :

— هذا الصّوّان لا يبدو متسقاً مع أثاث الغرفة ،
يا أستاذ (مدوح) .. هل

قاطعته (مدوح) ، قائلاً في ضجر :

— نعم أيها الرائد .. إنه صوان ملاهى الخاص ، وقد
أحضرتة إلى هنا أول أيام عملي بالأستديو ، أى قبل
مشاجرتي مع (أشرف) بعشرة أيام كاملة .

صمت (نور) قليلاً ، محاولاً ربط الأحداث بعضها
ببعض ، ولمّا فشل عاد يسأل (مدوح) :

— ما سرُّ التّوتر الذى ظهر في علاقتك (بأشرف) ،
يا أستاذ (مدوح) ، برغم أنك أنت نفسك أوصيت
بعمله في الهولوسينا ؟

زفر (مدوح) في ضيق ، وقال :

— لقد كان (رحمة الله) شيئاً مؤهوباً ؛ لذا لم أتردّد في
منحه خطاب التوصية ، وأنا واثق أن (عصمت) سيقنع
به على الفور .. ثم اكتشفت أن ذلك قد أصابه بنوع من
الغرور السخيف ، حتى بات يتكبّر في معاملته معي ، وفي

أحاديثه .. حتى حينما طلب من المنتج أن يمنحني دوراً في
فيلمه هذا ، كان يتصرف وكأنه يهينى ذلك ، برغم أنني
أكثر موهبة منه ..

قال (نور) في خبث :

— لهذا قتلته ١٢

نظر إليه (ممدوح) في دهشة ، لم تلبث أن تحولت إلى
سخرية ، وهو يقول :

— أتحاول اتهامى بالقتل ، مجرد أنك تعجز عن تفسير
تحوله إلى تمثال زجاجي ؟

سأله (نور) في جدّة :

— هل لديك أنت تفسير مناسب ؟

هزّ (ممدوح) كفيه ، وقال :

— لقد أخبرتك بما حدث ، ولكنك ترفض الاقتناع
به ، فليبحث ما شئت إذن .. إنه وقتك أنت الذى يضيع .
تبادل كلاهما نظرات التحدى فترة طويلة ، ثم قال

(نور) في برود :

— اسمع أيها الممثل القديم .. هناك خدعة عبقرية
خلف حادث التحول المزعوم هذا ، ولن يبدأ لى بال حتى
أكشفها ، وحينئذ ستدم على أنك تحدّيتى .. سأثبت أنك
قتلت (أشرف) .

ابتسم (ممدوح) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

— سيدهشنى أن تفعل ذلك .

وفجأة سمع الجميع صوتاً مألوفاً ، يقول في ثقة :

— سيفعل يا أستاذ (ممدوح) .. لقد رأيته يحلّ الغائراً
أعقد من ذلك فيما مضى .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وغمغم (نور) في
ضيق :

— لا .. ليس الآن .. إن الترتل لا ينقصنا .

فقد طالعه وجه مألوف ، لمذبة (أنباء الفيديو)
الشهيرة (مشيرة محفوظ) .

٥- تحت الأضواء ..

ابتسمت (مشيرة محفوظ) ، حينما رأت تلك النظرات
المخففة التي حددتها بها الجميع ، واهتمت جيداً بنظرات
الغيرة التي بدت في عين (سلوى) ، ثم تحولت ابتسامتها
إلى السخرية ، وهي تقول :

— أغيبى أن الرائد (نور) كان متفوقاً قبل أن
يتزوج .. إننى لم أراه منذ ذلك الحين .

أجابتها (سلوى) في برود :

— لقد ازداد تألقاً وتفوقاً هذه الأيام يا عزيزتى .

تجاهل (نور) منازلتها الكلامية ، وقال لـ (مشيرة) :

— لم يكن الوقت بعد لتغطية هذا الحدث ، يا آنسة

(مشيرة) .

أجابته (مشيرة) في خبث :

— ماذا تقول أيها الرائد .. إن جريدة (أنباء الشيدو)

تستمد شهرتها ، من سرعة تغطيتها لمثل هذه الأحداث
المثيرة .

وأشارت إلى (ممدوح) مستطردة :

— ثم إن طرفي الحدث ليسا رجلين عاديين ، إنهما ممثل
عظيم كالأستاذ (ممدوح خالد) ، وممثل ناشئ موهوب
كالأستاذ (أشرف البدوى) .

غمغم (ممدوح) في سخرية :

— يا للعجب !!! .. أما زلت تذكرين اسمي ؟ .. كنت
أظننى قد طوأت النسيان .

صاحت (مشيرة) في حماس مفتعل :

— محال يا أستاذ (ممدوح) .. أنت أعظم ممثلي
الجيل .. أنت فنان حق .. أراهنك أنك ستستعيد مكانتك
القديمة ، وخصوصاً بعد أن يسلط عليك هذا الحادث
الأضواء .

قال (نور) في سخرية :

— مرحبى يا أستاذ (ممدوح) .. ستعود إلى الأضواء ،
بسبب تحول زميلك إلى تمثال زجاجى .

ظهر الغضب على وجه (ممدوح) ، وقال :
— ألا يمكنك احترام فارق السن بيننا على الأقل أيها
الرائد ؟

ابتسمت (مشيرة) في خبث ، وقالت وهي تقود
(ممدوح) إلى الخارج :

— ذكك من هذا الأسلوب الاستفزازي ، الذي يهيم به
الرائد (نور) يا أستاذ (ممدوح) ، وأولني اهتمامك ،
فلا بد أن يظهر وجهك الوسم لمشاهدي (أبناء القيديو)
بعد ساعة من الآن .. ستقص عليهم ما حدث بالتفصيل .
تبعها (ممدوح) إلى الخارج في حماس ، ولم يكده الاثنان
يبعدان ، حتى التفت (نور) إلى (محمود) ، وسأله :
— تقول إن الأشعة الذرية قادرة على تحويل البشر إلى
نوع من المواد الشفافة التي تشبه الزجاج .. ليس كذلك ؟
أوما (محمود) برأسه موافقا في دهشة ، فتابع (نور)
في صرامة :

— أريد منك إذن أن تفحص هذا التمثال الزجاجي

بعذاد (جيجر) (*) .. وأجبرني إذا ما كانت به آثار
إشعاعية .

وأدار رأسه ناحية الباب ، الذي اختفى وراءه (ممدوح)
و (مشيرة) ، وأردف في حق :
— حينئذ فقط سأعمل على إثبات التهمة على الأستاذ
(ممدوح) .

أمسك (محمود) جهازا صغيرا في قبضته ، وأخذ
يحركه حول التمثال الزجاجي فترة طويلة ، ثم أعاده إلى علبة
وهو يهز رأسه نفيا ، ويقول :

— لا أثر للإشعاعات الذرية أو غيرها أيها القائد .

قال (نور) في عصبية :

— ماذا يعني هذا ؟ .. ألا يوجد دليل واحد على القتل ؟

قالت (سلوى) في ضيق :

(*) عذاد (جيجر) : هو جهاز خاص للكشف عن الأشعة الذرية . تم
اختراعه عام ١٩١٣ ، وما زال يستخدم حتى الآن .

— في الواقع يا (نور) ، أنت متحامل على الأستاذ
(ممدوح) ، وتريد إثبات تهمة القتل عليه غنوة ، دون
أدلة ، أو تسلسل منطقي .

تدخل (رمزي) بعد لحظة من التردد ، قائلاً :
— وحتى لو قُدِّمته للمحاكمة ، فسيحصل على
البراءة دون شك ، ما دمنا لم نعثر على جثة القتيل .
استدار (نور) إلى التمثال الزجاجي ، وتأمله في حلق
وتوتر ، وهو يقول :

— هل تريدون مني أن أصدق عملية تحوُّل بشر إلى
تمثال زجاجي ؟

صاح (رمزي) :

— وماذا في ذلك ، مادام هذا هو ما حدث بالفعل ؟
ظهرت الحيرة في عيني (نور) ، وهو يقول :

— من يمكنه إثبات ذلك يا (رمزي) ؟

قالت (سلوى) محتدة :

— ومن يمكنه إثبات العكس ؟

قال (نور) في شرود :

— العقل يا عزيزي .. العقل يرفض أن يتحوَّل بشر
يفيض بالحياة والحيوية ، إلى تمثال زجاجي أصم مثل هذا ..
العقل يرفض أن تبلغ إرادة البشر حدًّا ، يمكنها من تبديل خلق
الله (سبحانه وتعالى) .. هذا ما يدفعني لرفض الفكرة
يا عزيزي .

صمت الجميع فترة ، يفكرون فيما قاله (نور) ، ثم
قالت (سلوى) :

— لقد اقتنعت بما تقول يا عزيزي ، ولكن هذا لا يعني
بالضرورة أن الأستاذ (ممدوح) هو القاتل .

التفت إليها (نور) ، ونظر في عينيها طويلاً ، قبل أن
يقول :

— من غيره إذن يا عزيزي ؟

هزّت كنفها قائلة :

— لست أدري .

قال (رمزي) في اهتمام :

— كوننا لا نعلم من هو الفاعل الأصلي ، لا يمنع من وجوده أيها القائل .. أليس كذلك ؟

أوماً (نور) برأسه موافقاً ، وهو يغمغم :
— هذا صحيح .

قطب (محمود) حاجيه فجأة ، وقال :

— لدى فكرة عجيبة ، قد تثير انتباهكم يا رفاق .

نظر إليه الجميع في تساؤل ، فتابع قائلاً :

— ماذا لو أن ما أصاب (أشرف) قد حدث بطريق

الخطأ ؟ .. وأعني أن يكون المقصود هو (ممدوح) نفسه .

سأله (نور) في اهتمام بالغ :

— ماذا تعني يا (محمود) ؟

قال (محمود) في حماس :

— أعني أنه من الممكن أن يكون أحدهم قد أعدَّ فخاً للأستاذ (ممدوح) .. وما عن طريق قاذف للأشعة الذرية القوية ، من النوع الذي يمكنه تحويل البشر إلى زجاج بالفعل ، ولكن الضحية كانت (أشرف) لا (ممدوح) .

صاح (رمزي) في انفعال :

— ولكن كيف ؟ .. لقد فتشنا غرفة (ممدوح) جيداً ، ولم نجد بها أثراً لأية أجهزة . يمكنها أن تقذف الأشعة الذرية القوية .

ابتسم (محمود) ، وقال :

— قاذف الأشعة الذرية ، عبارة عن أسطوانة صغيرة ، لا يزيد نصف قطرها على بضعة مليمترات ، ولا يحتاج إطلاقها إلا لثقب صغير .

صاح (نور) فجأة :

— يا إلهي !! لقد فهمت ماذا تعني يا (محمود) .. لقد اختفى القاتل الحقيقي في غرفة المكياج ، وإرتكب جرمته من ثقب صغير يصلها بحجرة (ممدوح) الملاصقة لها . ثم استرد في انفعال ، وهو يمسك كفى (محمود) :
— يبدو أنك فعلتها هذه المرة يا صديقي .. لقد كشفت أنت حل اللغز .

تخضب وجه (محمود) بحمرة الخجل ، وهو يحاول في
 يأس العثور على الثقب ، الذي تصوّر وجوده في حجرة
 المكياب ، ولكنه لم يلبث أن فشل تمامًا ، وأنبأته نظرة تبادها
 مع (رمزي) و (سلوى) ، أنهما لقيتا نفس النتيجة ..
 وفي خجل شديد اجلس النظر إلى (نور) ، فرأى
 الإحباط مرتسمًا على وجهه بأقصى ملامحه ...

كان (نور) في الواقع يشعر بالحنق الشديد . بعد أن
 تبين له خطأ نظرية (محمود) ، وكان عقله يحاول جاهذا
 البحث عن تفسير منطقي مقنع ، ولكنه فشل تمامًا ، وكاد
 يعترف لحظة بعملية التحول إلى زجاج ، ولكن عقله لم يلبث
 أن رفض الفكرة بشدة ، ثم عاد يضعها موضع البحث ،
 حينما تبين استحالة حدوث غيرها ..

ظهر الإعياء واضحًا على وجه (نور) ، وارتسم اليأس

على وجهه ، حتى أنه زفر في صوت مرتفع ، مما دعا
 (رمزي) إلى أن يقول :

— إن خطأ نظرية (محمود) ، لا يعني فشلنا في حل
 اللغز أيها القائد .

تنهّد (نور) وقال :

— أعلم ذلك يا (رمزي) .. أعلم ذلك ..

ثم اعتدل في وقفته ، وقال وهو يتململ في ضيق :

— معذرة يارفاق ، ولكنني أحتاج إلى بعض الوقت مع

نفسى .. أريد الجلوس وحدي دون إزعاج .

وغادر غرفة المكياب في خطوات بطيئة متراخية .. ولم

يكذ يغيب عن أبصارهم ، حتى قالت (سلوى) :

— إننى أعرف زوجي جيدًا .. أراهنكم أن عقله يعمل

بسرعة مذهلة الآن .

مطّ (رمزي) شفّيه ، وقال :

— كل ما أستطيع قوله ، هو أنه مصاب بإحباط

شديد .

غمغم (محمود) :

— هذا لأنه يرفض الاعتراف ، بتحوّل (أشرف) إلى
تمثال زجاجي .

هزّ (رمزي) كشيء ، وقال :

— أنت تعلم طبيعة (نور) جيّدا .. إنه يرفض دائماً
الاعتراف بما لا يقتنع به عقله ، حتى لو أكّدت كل الظواهر
هذا .

استند (محمود) إلى منصدة صغيرة ، وهو يقول :

— ليس كل ما لا يقتنع به العقل خطأ .. فكثير من
الأمرّ تبدو للوهلة الأولى غير منطقية ، ولكن المرء لا يلبث
أن يقنع بمنطقيتها ، حيناً يتمعن في حقائقها .
وفجأة تحوّلت لهجة (محمود) إلى الدهشة ، وهو يرفع
كتاباً من فوق المنصدة ، ويغمغم :

— يا إلهي !! ما معنى هذا العبث ؟

نظر إليه (رمزي) و (سلوى) في مزيج من الفضول
والاهتمام ، ومأثته (سلوى) :

— ماذا وجدت يا (محمود) ؟

صمت (محمود) لحظة ، وكأنه يحاول التأكد من
عنوان الكتاب ، ثم رفع رأسه إلى رفيقته ، وقال دون أن
تزيّله دهشة :

— إنه كتاب عن السّحر الأسود ، يحمل عنواناً سيثير
ذهولكم .

ثم عاد إلى الكتاب ، وهو يقرأ في بضع :

— (السّحر الأسود ، وكيفية تحويل البشر إلى جهاد) .

ظهرت الدهشة على وجهي (رمزي) و (سلوى) ،
وأرتج عليهما لحظات ، حتى أنهما عجزا عن التفوّه بكلمة
واحدة ، ثم لم يلبث (رمزي) أن غمغم :

— يا إلهي !! إنه احتمال مذهل ، لم يخطر ببال
أحدنا .

صاحت (سلوى) في دهشة :

— ولكن .. هل تؤمن بالسّحر يا (رمزي) ؟

صمت (رمزي) مفكرًا ، وظهر التردد على وجهه
لحظات ، قبل أن يهز رأسه قائلاً :

— لا يمكننى نفى وجوده على الأقل .. فلقد ذكره
القرآن الكريم .

غمغم (محمود) ، وكأنه يعاود قراءة عنوان الكتاب :

— إلى حد تحويل البشر إلى جماد ؟

تهنّد (رمزي) ، وقال :

— في الواقع يرافق ، أن التاريخ مملوء بالحوادث ،
التي قد تقودنا إعادة تفسيرها إلى الاقتناع بوجود مثل هذا
النوع من السحر الأسود القوى ، فلو أننا نظرنا مثلاً إلى
الحلم الكلاسيكي القديم ، الذي وجدناه في كل كتب
الكيمياء في كل الحضارات .. ألا وهو تحويل العناصر إلى
ذهب ، لوجدنا أن كثيرين ممن اهتموا بمزاولة السحر ، قد
نجحوا في ذلك ، كما يدّعى البعض ، فماذا يمنع من أن
آخرين أمكنهم تحويل البشر إلى جماد ؟

ساد الصمت لحظة ، وبدأ واضحاً أن (محمود)
و (سلوى) لا يريدان الاقتناع بمثل هذا التفسير ، الذي
يفوق إدراكهما ، وينأى بهما عن أسلوب القرن الحادى
والعشرين ، حيث العلم هو الأساس الأول للشكير ،
وأمسك (محمود) الكتاب يقلّبه بين يديه في خيرة ، ثم لم
يلبث أن قال في اهتمام بالغ ، جذب انتباه (سلوى)
و (رمزي) :

— هناك قطعة من الورق المقوى في منتصف الكتاب ،
لعلها تخصّ صاحبه ، أو أنه وضعها عند فصل يهتم أمره .
ولم يكذب (محمود) يفتح الكتاب عند الورقة المقواة ،
حتى اتسعت عيناه دهشة ، مما دفع (رمزي) إلى سؤاله :

— ماذا هناك يا (محمود) ؟ .. ماذا حدث ؟ .

رفع (محمود) رأسه إليه ، وقال في دهشة :

— هناك من وضع هذه الورقة ، عند الفصل الخاص
بتحويل البشر إلى تماثيل زجاجية .

صاحت (سلوى) في انفعال :

— يا إلهي !! هذا صحيح إذن .

أمسك (رمزي) معصم (محمود) ، وصاح :

— لحظة يا (محمود) .. إننا لم نحاول معرفة اسم صاحب هذا الكتاب العجيب .. إنه المستول عمّا حدث ولا شك .
أسرع (محمود) يقلّب الكتاب إلى الصفحة الأولى ، ثم صاح في دهشة :

— ربّاه !! إنه ملك للمخرج البدين (عصمت شوق) .. إنه هو صاحب السّحر الأسود .

كان (عصمت) يمدّد جسده الضخم فوق مقعد اسفنجي ، غاص تحت ثقله إلى أسفل ، ويمدّ قدمه اليمنى فوق مقعد آخر صغير ، على حين ترك اليسرى تتدلّى على الأرض ، ووضع أمامه مروحة ضخمة ، تدفع الهواء البارد إلى وجهه وصدره ، الذي حلّ أزرار قميصه ، ليعرّضه لتيّار الهواء ، وقد أمسك زجاجة من الماء البارد ، يجرع منها جرعات كبيرة ، ويحفّف العرق الذي يتصبّب فوق وجهه برغم الهواء

اقترب منه (رمزي) و (محمود) و (سلوى) ، وسأله الأول في ودّ :

— هل تمنع لو أننا شاركناك جلستك يا سيّد (عصمت) ؟
كان الجواب بالنفي واضحاً في ملامح (عصمت) ، وهو يخطّ شفّيه في حق ، ولكنه برغم ذلك ابتسم ابتسامة مفتعلة ، وقال وهو يرفع قدمه اليمنى عن المقعد الصغير :

— ليس لديّ ما يمنع ذلك أيها السادة .

جلس الثلاثة ، وباده (محمود) قاتلاً :

— ما رأيك يا سيّد (عصمت) .. هل تؤمن بالسّحر ؟
شحب وجه (عصمت) المكتظّ ، وحاول أن يتشم ساخراً ، إلا أن ابتسامته خرجت شاحبة ، وكذلك صوته وهو يقول في تلثم :

— وهل هناك مشقّف واحد في القرن الحادى والعشرين ، يؤمن بمثل هذه الخزعبلات ؟

سأله (رمزي) بغتة :

— لماذا تقرأ عنه إذن ؟

أراد (عصمت) أن يتقى ذلك في البداية ، ولكن
يبدو أنه تبه إلى حمية عثورهم على الكتاب ، الذي يحمل
اسمه ، فقال في ضعف :

— مجرد تسلية لا أكثر .

نظر (رمزي) في عينيه طويلاً ، ثم قال في بطاء :

— اسمع يا سيد (عصمت) .. أنا طيب نفسي ..
ومهنتي هي سبر أغوار الآخرين .. ومن واقع هذه الخبرة
المقرونة بدراسة طويلة وعميقة ، أقول إنك تكذب .

حاول (عصمت) الاعتراض ، ولكنه شعر من
نظرات (رمزي) بعدم جدوى ذلك ، لذا فقد سقط رأسه
على صدره ، وقال في تخاذل واستسلام :

— لا فائدة .. سأخيركم بكل شيء .

ثم رفع إلى (رمزي) عينين دامعتين ، وهو يستطرد في
صوت باك :

— ولكني أقسم لكم أنني لم أقصد ذلك مطلقاً .. لم
أقصده مطلقاً .



٧ - العدوان ..

حاول (نور) أن يخلو إلى نفسه مفكراً ، ولكنه عجز عن ذلك تماماً ، حين وجد ذهنه مشوشاً بشدة ، فخرج من غرفته ، وعاد إلى غرفة (ممدوح) ، حيث أخذ يتأمل التمثال الزجاجي ، وهو يحدث نفسه مغمعاً :

— ترى .. أى لغز تحمل أيها التمثال الزجاجي العجيب ؟ .. أنت وليد قدرة عقلية نادرة ؟ أم أنت خدعة بشرية دنيئة ؟ .. ولكن كيف ؟ .. إنك أعقد لغز واجهني في حياتي بأكملها ، فأنت الشاهد الوحيد والضحية في آن واحد .. ترى .. أتبتنى أن نجد قائلك ؟ أم أنك تسخر منا في أعماقك ؟

وفجأة سمع صوتاً ساخراً يقول :

— أتحدث نفسك أيها الرائد ؟ أم أن الحياة عادت تدبُّ في هذا التمثال الزجاجي ؟

استدار في هدوء إلى صاحبة الصوت ، وقال في برود :

— تدهشني قدرتك على الضحك والسخرية ، إزاء هذه المأساة يا (مشيرة) .

هزّت (مشيرة محفوظ) كفيها ، وقالت وهي تتقدم نحوه :

— وكيف تريدني أن أتأثر ؟ .. إنني لم أر هذا المدعو (أشرف البدوي) مطلقاً من قبل .. إنه بالنسبة لي شخصية مجهولة ، فكيف أتأثر بمصرعه ؟

ثم ابتسمت في سخرية ، وهي تستطرد :

— الوحيد الذي أعرفه هو (ممدوح خالد) .. ليتك رأيته ونحن نحاورة أمام كاميرات الفيديو .. لقد استعاد تألقه ، وسرد القصة بشكل مسرحي مؤثر .

وضحكت قبل أن تردف :

— هذا الرجل ممثل من رأسه حتى أخمص قدميه أيها الرائد .

ابتسم (نور) ابتسامة محاملة ، وهو يسألها :

— هل حصلت على خبطة صحفية جديدة ؟

مطّنت شفتيها ، وهي تقول :

— لا شيء يمكنه أن يثير المشاهدين ، باستثناء ذلك
العداء العجيب بين الممثلين .

وابتسمت وهي تنظر إليه متابعة :

— تصوّر أن كلّاً منهما كان يتحاشى الآخر ، كما لو كان
مصاباً بالطاعون ، حتى أن المخرج اضطر لتصوير دور كل
منهما بمفرده .

زوى (نور) ما بين حاجيه ، وصمت لحظات ، ثم
قال في صوت خافت متسائلاً :

— هذه النقطة بالذات تثير خيّرقي الشديدة

يا (مشيرة) ، لماذا يتحوّل رجلان ، أدّى كل منهما
للآخر خدمة جليلة ، إلى عدوين متافرين هكذا فجأة ؟ ..

لابدّ أن شيئاً ما قد حدث ، في الفترة ما بين طلب
(أشرف) منح أحد الأدوار إلى (ممدوح) ، وبدء التصوير

الفعلّي .. في هذه الفترة بالذات يكمن حلّ اللغز .

قالت (مشيرة) في حماس :

— يمكنني أن أسأل (ممدوح خالد) عن ذلك .

هزّ (نور) رأسه نفيّاً في هدوء ، وقال :

— لقد سأله يا (مشيرة) ، ولكنه أعطاني جواباً لم
يقنعني .

وفجأة سمع كلاهما صوت (ممدوح) ، يقول في
هدوء :

— يمكنك أن تكرّر سؤالك أيها الرائد .

نظر إليه (نور) في برود ، وقال :

— ما الذي تريد أن تفعله بالضبط يا سيّد
(ممدوح) ؟

هزّ (ممدوح) كتفيه ، وقال في مزيج من الجذل
والسخرية :

— كدت أوجّه إليك السؤال نفسه أيها الرائد .

ضاقّت عينا (نور) ، وهو يسأله في برود :

— عجيب أسلوبك هذا يا سيّد (ممدوح) .. ألسنت

توافقني في أن هذا الخذل يبدو غريباً ، بالنسبة لرجل رأى
زميله يتحول أمامه إلى تمثال زجاجي منذ ساعات قليلة .
ظهر التأثير على وجه (ممدوح) ، وقال في حزن :
— لا تتسرع في الحكم على الظواهر أيها الرائد ..
هناك بيت شعري قديم يقول :

لا تحسبوا رقصي ينكم طرباً
فالظير يرقص مذبوحاً من الألم

ظل (نور) يتأمل تأثيره لحظة ، ثم قال في هدوء :
— اسمع يا سيد (ممدوح) .. إن هذه الساعة التي
ارتديها ليست مقياساً عادياً للوقت .. إنها في الواقع آلة
كشف كذب ، زودتني بها إدارة المختبرات العلمية ،
لتساعدني في تحرياتي وتحقيقاتي .. وهي آلة مطورة عن تلك
التي استخدمت قديماً ، بحيث يكشف أن تضغطها
بسبائك ، لتعطي تحليلاً مؤكداً ، عما إذا كنت صادقاً أم
كاذباً .

ورقصت ابتسامة ساخرة في عيني (نور) ، وهو
يستطرد :

— هل توافق على أداء هذا الاختبار يا سيد
(ممدوح) ؟

اعتدل (ممدوح) ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو
يقول في ثقة :

— نعم أيها الرائد .. إنني أوافق على أدائه .
مدّ (نور) يده بالساعة ، وقال في تحد :

— اضغط سطحها بسبائك إذن .
ودون تردد ، ضغط (ممدوح) سطح الساعة بسبائكه ،
وقال (نور) :

— والآن أريد منك أن تخبرني عن سؤال حاسم .. هل
قتلت زميلك الممثل (أشرف البدوي) ؟
قال (ممدوح) في ثقة :

— كلا .. إنني لم أفعل .
وفي الحال ارتفع من الساعة الصغيرة أزيز قوي متردد ،
وأسرعت (مشيرة) تسأل (نور) في فضول صحفي
متميز :

— كيف جاءت النتيجة يا (نور) ؟.. أخبرني بالله عليك .

نظر (نور) إلى (مدوح) ، الذى ابتسم فى ثقة ، ثم التفت إلى (مشيرة) ، وقال فى دهشة :
— إنه صادق .

صاحت (مشيرة) فى انفعال قوى :
— يا له من خبر مستهزئ له أفقده المشاهدين !! لابد أن أسرع بإبلاغه إلى الجريدة ، لابد أن
وقبل أن تتم عبارتها اندفعت (سلوى) إلى الغرفة ، وخلفها (رمزى) و (محمود) ، ونظرت فى حلق إلى (مشيرة) ، ثم التفت إلى زوجها ، صانحة فى جدل :
— لقد سبقناك هذه المرة إلى حل اللغز يا (نور) ..
لقد علمنا كيف تحوّل (أشرف البدوى) إلى تمثال من الزجاج .



٨ - التحول السحري ..

كان قلب (سلوى) يقفز طرباً ، وهي تنطق هذه العبارة ، حتى أن هدوء (نور) أدهشها ، وأثار حنقها ، حيناً سألها :

— وكيف يا زوجتي العزيزة ؟

ولكن نظرات الاهتمام البالغ في عيني (ممدوح) و (مشيرة) ، أعادت إليها حماسها ، وهي تقول :

— لقد كشفنا الوسيلة ، وواجهنا بها (عصمت شوقي) المخرج ، فاعترف بكل شيء .

زوى (نور) حاجبه في اهتمام ، على حين ظهرت دهشة حقيقية على وجهي (ممدوح) و (مشيرة) ، حيناً نطقت (سلوى) باسم المخرج الشهير ، وحاولت (مشيرة) أن تسألها عما تعنيه ، ولكن (سلوى) أسرعته تقول :

لقد عثنا في غرفة المكياج ، على كتاب في السحر الأسود ، عن كيفية تحويل البشر إلى جماد ، وجدنا به إشارة عند الباب الخاص بتحويل البشر إلى تماثيل زجاجية ، وحيناً قلبنا صفحاته وجدناه يحمل اسم المخرج (عصمت شوقي) ، وتوجهنا إليه في الحال ، وواجهناه بالأمر ، فانهار واعترف بكل شيء ...

صمت (سلوى) لحظة ، ازدردت خلالها لعابها ، وأسرعت تكمل :

— لقد كان يقرأ هذا الكتاب باهتمام قبل بدء التصوير في هذا الفيلم ، وهو لم ينكر أنه جذب انتباهه بدرجة كبيرة ، حتى أنه ذات يوم ألقى بالعويدة السحرية لتحويل البشر إلى زجاج في غرفة المكياج ، ولكنه شعر بسخافة ما يفعل ، فترك الكتاب هناك ، وانشغل في تصوير الفيلم .. ويبدو أن العويدات تأخرت لسبب أو لآخر ، ثم انطلقت فجأة ، حيناً انقلع خارج باب غرفة الممثل (ممدوح) .. ولما كان في الواقع يخشى على حياة

(ممدوح) ، أكثر مما يخشى على حياة (أشرف) ، فقد أصابت التعويذة هذا الأخير ، وحوّله في الحال إلى تمثال زجاجي .

ظل الجميع صامتين ، حينما انتهت (سلوى) من حديثها ، وأدهشها هذا ، حتى أنها سألت (نور) في صوت خافت :

— ما رأيك في هذا التفسير يا (نور) ؟

أجابها في ضيق :

— أسخف تفسير سمعته في حياتي يا (سلوى) ..

أسخف تفسير على الإطلاق .

امتنع وجه (سلوى) ، وتخصّب بحمرق الحجل والغضب .. خاصة وهي تلمح تلك الابتسامة الساخرة على شفתי (مشيرة) ، فأسرعت تقول في حدة :

— وماذا يعيب تفسيرى هذا ؟

قال (نور) في حق :

— بل قولى ماذا يؤيده ؟ .. إنه تفسير سخيف ، لا يعتمد على أى من الحقائق التى لدينا .. بل لا يعتمد حتى على أسس المنطق السليم .. إننى أرفض الفرضية الأساسية نفسها ، الخاصة بالسحر ، وقدرته على تحويل الخلوقات .. أرفضها تماماً .

ابتسم (ممدوح) في سخرية ، وقال :

— أخشى أن تجد نفسك مضطراً لقبول فكرة التحول هذه أيها الرائد ، فهذا ما حدث بالفعل .

نظر إليه (نور) في غضب ، فأطلق ضحكة ساخرة ، وغادر المكان في خطوات سريعة ، وقال (رمزى) في دهشة :

— كيف يبدو مرحاً هكذا و ... ؟

قاطعه (نور) قائلاً :

— لقد سأله السؤال نفسه منذ لحظات ، وأجابنى

بشكل مقنع يا (رمزى) .

صمت الجميع فترة ، ثم قال (رمزى) في تردّد :

— أخشى أنه لم يعد باقياً بالفعل ، إلا قصة التحوّل
هذه أيها القائد .

ضرب (نور) قبضته اليمنى في راحته اليسرى ، وهو
يقول :

— لا ريب أن هناك تفسيراً آخر يا (رمزي) ..
لا شك في هذا .

تغيّرت ملامح (رمزي) فجأة ، وقال :
— أعتقد أن لديّ وسيلة ما يا (نور) .. على الأقل
لإثبات أو نفى قدرة عقل (ممدوح) على تحويل (أشرف)
إلى تمثال زجاجي .

ظهر الاهتمام قوياً واضحا في عيني (نور) ، وهو
يلفت إلى (رمزي) ، ويسأله في شغف :

— كيف يا (رمزي) ؟

قال (رمزي) في حماس طبيعي :

— عن طريق الرسم الكهربائي التحليلي لموجات المخ .

ثم شعر من التعبيرات الغريبة التي ارتسمت على
وجوههم ، أن أحدهم لم يفهم معنى هذا المصطلح ،
فتفتح وهو يستطرد شارحا :

— من الطبيعي بالنسبة لكل بشري على وجه الأرض ،
أن يصدر المخ نبضات منتظمة ، أو ترددات كهربية
متوافقة ، تعطينا رسماً خاصاً يمثل منحنى معروفاً لكل
الأطباء .. وفي حالة وجود مخ يمتلك قدرات خاصة ، وفوق
طبيعية كما يدعى (ممدوح خالد) ، فإن النشاط الكهربائي
لخه يكون مرتفعاً عن النشاط الكهربائي المألوف ، فيمنحنا
عند قياسه منحنى أقوى وأطول .

سأله (نور) في هدوء :

— هل تعني أننا لو قمنا بقياس النشاط الكهربائي لمخ
(ممدوح خالد) ، فسوف يساعدنا هذا على الجزم ، بما
إذا كان يمتلك قوة عقلية قادرة على التأثير في تركيب
(أشرف) أم لا ..

رفع (رمزي) سبّابه أمام وجهه ، وقال في حماس :

— هذا ما أعنيه بالضبط أيها القائد .

صمت (نور) قليلاً ، وظهرت على وجهه علامات التفكير العميق ، ثم لم يلبث أن هز كتفيه وهو يقول :
— ولم لا ؟ لن نحاول المحاولة على الأقل .

ابتسم (ممدوح خالد) في سخرية ، وهو مستسلم للأقطاب الكهربائية التي يثبتها (رمزي) على جانبي رأسه ، ثم نظر في تهكم إلى الأسلاك المتشابكة التي تنتهي عند لوح معدني مليء بالأزرار ، ومتصل بشاشة زيتونية اللون ، وقال وهو يرمق (نور) بنظرة ساخرة :

— من الواضح أنك مصرٌّ على اتهامي أيها الرائد ، بكل الوسائل الممكنة .

ابتسم (نور) ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

— إنه مجرد اختبار عادي يا سيّد (ممدوح) .

هزّ (ممدوح) كتفيه في استهتار ، واستسلم تماماً لما يفعله (رمزي) ، الذي انتهى من إعداد جهاز فحص النشاط المخّي ، ثم قال :

— هل أنت مستعد لبدء الاختبار يا أستاذ (ممدوح) ؟

ابتسم (ممدوح) في سخرية ، وقال :

— كل الاستعداد يا دكتور (رمزي) .

ضغط (رمزي) بعض الأزرار في تابع متال ، وفي الحال أضاءت الشاشة الزيتونية بضوء أخضر باهت ، وظهر فوقها منحنى متكرّر ، واضح ثابت ، وقال (رمزي) وهو يشير إلى المنحنى :

— هذا هو المنحنى الطبيعي الذي يصنعه كل مخ بشري .

سأله (نور) في اهتمام :

— هل يعني هذا أن نتائج الاختبار معلبية ؟

ابتسم (رمزي) ، وهو يقول :

— لم يبدأ الاختبار بعد أيها القائد ، لا بدّ من تعريض

السيّد (ممدوح) إلى بعض الانفعالات .

ضحك (ممدوح) في سخرية ، وقال :

— يمكنك أن تحاول على الأقل يا دكتور (رمزي) .
 وفجأة تجهمت ملاح (رمزي) ، وقال في جدة :
 — إنك تتحدث دائماً بهذا الأسلوب الوقح يا سيد
 (ممدوح) ، ويؤسفني أن أخبرك أنك رجل غير مهذب ،
 ولا شك أن هذا ناتج عن إهمالك لخمس سنوات ،
 ولكنك في الواقع لا تستحق الظهور على الشاشة لوضاعة
 أسلوبك .
 احقق وجه (ممدوح) ، وصاح وهو يرتعد غضباً :
 — كيف تجرؤ على التحدث إليّ بهذا الأسلوب المبتذل
 أيها الـ ... ؟
 وفجأة بتر (ممدوح) عبارته ، حيناً لمح ابتسامة
 (رمزي) الخيئة ، وسمعه يقول :
 — هل رأيت أنني نجحت في إثارة انفعالاتك يا سيد
 (ممدوح) ؟
 رمزي (ممدوح) حاجبيه في غضب ، ثم لم يلبث أن
 ابتسم ، ثم انفجر ضاحكاً ، على حين سأل (نور)
 (رمزي) في اهتمام :

— ما نتيجة الاختبار يا (رمزي) ؟
 همز (رمزي) رأسه في أسف ، وقال :
 — سلبية أيها القائد .. إن عقل السيد (ممدوح)
 عادى جداً .
 ابتسم (ممدوح) في خيث ، وقال :
 — أكت تنظر عقل (أينشتاين) ؟ أم عقل
 (مصطفى مشرفة) ؟
 ثم ضحك ، وهو يستطرد :
 — ولكنني أهنتك يا دكتور (رمزي) .. لقد
 أحسنت أداء دورك ، ونجحت في إثارة أعصابي .. إنك
 تصلح للعمل مثلاً سينمائياً .
 ابتسم (رمزي) ، وقال :
 — هل تمنحني خطاب توصية للسيد (عصمت
 شوقي) ؟
 فقهقه (ممدوح) ضاحكاً ، وقال :
 — نعم يا دكتور .. أنت مثل عظيم ..

وفجأة ، بتر (مدوح) ضحكته ، ونظر إلى أفراد الفريق
 في دهشة ، فقد شملهم جميعاً صمت عام ، وتعلقت
 أبصارهم بالرائد (نور الدين) ، ولعلت في أعينهم نظرات
 ترقب وأمل وخفة .. فأدار (مدوح) رأسه في اهتمام ،
 يتطلع إلى الرائد (نور) بدوره ، وتحيل إليه لدهشته أنه
 يرى بريقاً عجبياً ، يتألق في عيني (نور) ، وابسامة ظفر
 مذهلة ترسم على شفتيه ، وشعر لأول مرة منذ بداية الأمر
 بالتوتر ، وارتجف جسده بغتة ، حينما صاحت (سلوى) في
 لهفة :

— (نور) .. لقد توصلت إلى حل اللغز .. أليس
 كذلك ؟

اتسعت عينا (مدوح) في ذهول ، وهو يحدق في وجه
 (نور) ، الذى تحولت ابسامته إلى السخرية ، ثم لم تلبث
 أن انطلقت في ضحكة مجلجلة ، زادت من دهشة الجميع ،
 وخاصة حينما نظر (نور) إلى (مدوح) في جذل ، وقال :
 — بل أنت الممثل العظيم يا أستاذ (مدوح) .. أنت
 أعظم ممثل رأيته في حياتى بأكملها .

وكادت دهشة أفراد الفريق تنفجر إلى أقصاها ، حينما
 أطلق (مدوح) ضحكة مرحة عالية ، وقال :
 — رائع أيها الرائد .. هذا يؤكد أنك توصلت فعلاً إلى
 حل اللغز .



٩ - ملك المسرح ..

نقل أفراد الفريق نظراتهم في دهشة ، بين (نور)
(ممدوح) ، فقد بدا كل منهما مرعاً بما لا يتناسب مع
رجل كشف لغز تحوّل يشع كهذا . وآخر يعلم سرّ هذا
التحوّل بدوره .. وأخيراً صاحت (سلوى) في حلق :
— ماذا يحدث ؟ .. هل نحاولان إثارة أعصابنا ؟

ضحك (ممدوح) ضحكة مرحة قصيرة ، واسترخى
في مقعده ، وهو يتزع الأقطاب الكهربائية عن رأسه ، على
حين قال (نور) مبتسماً :

— معذرة يا زوجتي العزيزة .. سأدعو السيد
(عصمت) أولاً ، ثم أخبركم بكل شيء .

لم تغض دقائق معدودة ، حتى حضر (عصمت
شوقي) بحمده البدين ، وهو يمسح عرقه الغزير كعادته ،
وجلس وسط أفراد الفريق وهو ينظر إلى (ممدوح) في

دهشة وتساؤل ، على حين نهض (نور) ، وقال مبتسماً :
— أعيروني أسماعكم جميعاً ، فأقص عليكم أعجب
قصة سمعتموها في حياتكم بأكملها .. قصة تمثل قديم
محترف ، يعدُّ أعظم فنان عصره ، بل أعظم ممثل في كل
العصور .

ابتسم (ممدوح) ، وقال وهو يومي برأسه إلى
(نور) :

— شكراً أيها الرائد .. لن أنس بحمايلك هذه
ما حييت .

ابتسم (نور) ، واستمر في سرده قائلاً :

— دعونا نراجع أركان اللغز الذي نواجهه ، ولكنني
سأرتبها بشكل جديد ، يتيح لنا الوصول إلى الحل بأسلوب
أيسر .. لنبدأ بممثل قديم يشهد له الكل بالقدرة والنوهة ،
ولكنه برغم ذلك يقضي خمس سنوات كاملة دون أن يظهر
مرة واحدة ، ولو في دور ثانوي بأحد الأفلام ، مجرد أن
الأسلوب السينمائي قد تبدّل .. ونضيف إلى القصة دوراً

جديداً ، مخرج قديم سبق له العمل مع الممثل الموهوب في الماضي ، ويتق في ذوقه وموهبته جيداً .. هذا المخرج القديم يتلقى يوماً رسالة توصية من الممثل الموهوب ، يوصيه بشاب جديد موهوب .. وفي الحال يقرر المخرج اختبار الممثل الشاب ، وتبره موهبته ، فيقرر إسناد دور البطولة إليه في الفيلم الجديد .. وهنا .. وبعد أن يثبت الممثل الشاب أقدامه ، يطلب من المخرج إسناد دور صغير إلى الرجل الذي أوصى به ، وبعد أن يوافق المخرج بالفعل ، ينشأ فجأة عداء عجيب بين الممثل القديم الموهوب والممثل الشاب ، فيرفض كل منهما في إصرار عجيب مجرد رؤية الآخر ، حتى أن المخرج المسكين ، يضطر لتصوير المشاهد الفردية لكل منهما على حدة ، وحين يأتي دور تصوير أول مشاهدتهما المشتركة يتور الممثل الشاب ، ويسرع إلى غرفة الممثل القديم غاضباً ، ويغلق الباب خلفه بالرتاج ، وكأنه ينوى إتيان عمل عنيف .. ويسرع المخرج محاولاً إنهاء الموقف ، فيسمع صوت شجار الممثلين ، ويجمع العاملون

ويحاولون فض الشجار ، ويومنون إلى المتشاجرين أن يفتحوا الباب ، وفجأة يسمع الجميع صوتاً عالياً كالفحيح ، وتمضي ثوان قليلة ، ثم يفتح الممثل القديم الباب ، والذهول مرتسم على ملامحه في شدة ، ويفاجأ الجميع بتحول الممثل الشاب إلى تمثال زجاجي .

صمت (نور) ، وقال في مرج :

— هذا هو المشهد ، كما بدا للمشاهدين على خشبة المسرح .

ثم اتسم وأردف ، وهو يتبادل النظرات المرحية مع (مدوح) .

— ولكن هناك قصة أخرى حدثت في الكواليس ، لا يعلم تفاصيلها سوى مخرج هذا الحدث الأستاذ الموهوب (مدوح خالد) ، وأنا .

نقل (عصمت) نظراته بين (نور) و (مدوح) ، وقال في دهشة :

— لكأنك تتحدث عن مسرحية جديدة !!

ابتسم (نور) وقال :

— إنها كذلك بالفعل يا سيد (عصمت) ، ولكنني سأخبركم أولاً كيف عرفت ذلك .. وكيف توصّلت إلى ما سأقصده عليكم بعد قليل .

وصمت لحظة مرتباً أفكاره ، ثم استطرد في هدوء :

— لقد أثارت انتباهي في البداية عدة نقاط غريبة .. أولها ذلك العداء العجيب الذي نشأ بين الممثلين دون مبرر ، ثم عدم اشتراكهما في مشهد واحد مطلقاً .. وهذا الصّوّان الذي أحضره (ممدوح) من منزله خصيصاً قبل بدء التصوير ، وأخيراً عملية تحوّل الممثل الشاب إلى تمثال زجاجي و

قاطعه (عصمت) ، قائلاً في ضجر :

— لست أميل إلى مثل هذه التفاصيل أيها الرائد ، فإما أن تشرح لي نظريتك وتفسرك الأمر بسرعة ، أو أن تصمت .

ابتسم (نور) ، وقال :

— حسناً يا سيد (عصمت) .. سأبدأ بالنقطة

الأصلية مباشرة .. نقطة التحوّل إلى تمثال زجاجي .. لقد كان رفضنا لهذا التحوّل يصطدم دائماً بسؤال معجز .. ألا وهو أين ذهبت جثة (أشرف البدوي) ، إذا كان (ممدوح) قد قتله ؟ . ثم ينشأ سؤال ثان ، وهو كيف أمكن للأستاذ (ممدوح) ارتكاب جريمة في الوقت الضئيل الذي لا يزيد على ثلاث دقائق ، ما بين آخر كلمة نطق بها (أشرف) ، وبين رؤيتكم له كتمثال زجاجي ؟ وحينها كنا نصطدم بالسؤالين ، ونعجز عن تفسيرهما ، كنا نعود للبحث عن وسيلة أخرى لتحوّل الممثل الشاب إلى تمثال زجاجي .

عاد (عصمت) يقاطعه ، وهو يحقّق عرقه قائلاً

في ملل :

— هل يعني حديثك هذا أنك وجدت جواباً للسؤالين

أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— نعم يا سيّد (عصمت) .. إن جواب السؤالين
بسيط للغاية ، وهو أنه لم يكن هناك وجود للممثل المعروف
باسم (أشرف البدوي) .. لم يكن له وجود حقيقي على
الإطلاق .



١٠ — التفسير العجيب ..

نظر أفراد الفريق إلى (نور) في دهشة ، على حين
تدألت فك (عصمت) البدن في بلاهة ، ثم لم يلبث أن
قفز من مقعده صائحاً :

— ما هذا الغراء الذي تقوله أيها الرائد ؟ لقد تعاملت
مع (أشرف البدوي) بنفسى ، وأستطيع أن أجزم أنه بشر
عادى من لحم ودم .

انفجر (ممدوح) ضاحكاً ، حتى ظن الآخرون أنه قد
أصيب بالجنون ، على حين ابتسم (نور) ، وقال في هدوء :
— هذا يشبه تفوق الأستاذ (ممدوح خالد) يا سيّد
(عصمت) ، فحتى أنت كمنخرج قديم محترف ، لم
يمكنك أن تكشف أن (أشرف البدوي) و (ممدوح
خالد) ، هما وجهان لعبلة واحدة .

ازدادت ملاح (عصمت) بلاهة ، وهو يحدّق في وجه
(ممدوح) بذهول ، ويقول :

— ولكن هذا مستحيل !! هل تقصد أن ؟
 قاطعه (نور) ، قائلاً في هدوء :
 — نعم يا سيّد (عصمت) .. أقصد أن (أشرف)
 و (ممدوح) هما رجل واحد .
 سقط (عصمت) فوق أقرب مقعد إليه ، وهزّ رأسه
 وهو يقول في ذهول :
 — هذا مستحيل !! مستحيل !! إننى لا أصدق
 ما تسمعه أذنائى .
 ابتسم (نور) ، والفت إلى (ممدوح) قائلاً :
 — سأقصّ عليهم الأمر ، وأرجو أن تصحّح لى ما أقع
 فيه من أخطاء يا أستاذ (ممدوح) .
 أوما (ممدوح) برأسه ، وقال مبتسماً :
 — تفضّل أيها الرائد .. لا أظنّ أننى سأضطر إلى
 ذلك كثيراً .

الفت (نور) إلى الآخرين ، وقال :
 — لنبدأ الآن القصة كما حدثت بالفعل من وراء
 الكواليس يا رفاق .. منذ تلك اللحظة التى شعر فيها

الأستاذ (ممدوح) بالحق ، لشدة ما أهمل مخرجو ومنتجو
 أفلام الهولوسينما وجوده ... لقد شعر أن الفن يحتاج دائماً
 إلى دم جديد ، ولكن هذا لا يمنع من الاستفادة بالمواهب
 القديمة .. وأخذ الأستاذ (ممدوح) يبحث عن وسيلة
 مناسبة تعود به إلى الأضواء ، دون أن يضطر للتوسّل من
 أجل أدوار ثانوية تافهة .. ولقد هداه تفكيره إلى اختراع ممثل
 جديد ، بحيث يمارس هو التمثيل الذى يسرى فى دمه من خلال
 شخص وهمي شاب ، وأقصد بذلك (أشرف البدوى) ..
 صمت (نور) لحظة ، ثم استطرد :

— إن عبقرية (ممدوح خالد) التمثيلية ، تتمثل فى
 قدرته على تحويل نفسه بواسطة المكياج المتقن ، والحنجرة
 المرنة إلى (أشرف البدوى) .. لقد أدّى دوره ببراعة
 شديدة ، حتى أن صديقه القديم (عصمت شرقى)
 نفسه ، لم يتمكن من تعرّفه ، حينما تقدّم إليه بخطاب
 التوصية الذى أعده لنفسه .. كانت حُطّة ذكيّة .. فمن
 الطبيعى أن يثق (عصمت) فى خطاب صديقه الموهوب

(مدوح) .. وما أن يبدأ في اختبار الشاب حتى يتأكد من موهبته الحقيقية ، فيسند إليه دور البطولة في فيلمه الجديد .

استلم (نور) ، وكأنه يقص دعابة جديدة ، ثم استطرد :

— إلى هنا لم يكن الأستاذ (مدوح) يطلب أكثر من ذلك ، ثم ذهب إلى غرفة (المكياج) ، وهناك عثر على كتاب السحر الأسود ، الذي كان (عصمت) يقرؤه ، وطلع الباب الخاص بتحويل البشر إلى زجاج ، وعندئذ فقط وضع الجزء الثاني من خطته العبقريّة ، بما أوحى به إليه هذا الكتاب الهزلي ..

اعتدل (مدوح) ، وأخذ يستمع إلى (نور) في شغف ، وعيناه تطلقان بمرج من الاهتمام والجدل ، حين تابع هذا الأخير قائلاً :

— بدأ خطته بداية جريئة ، حينما أقنع الأستاذ (عصمت) بإسناد دور في الفيلم للممثل (مدوح) ،

الذي هو نفسه في الواقع .. ولما كان (عصمت) لا يعلم شيئاً عن الدور المزدوج ، الذي يقوم به (مدوح) في شخصية (أشرف) ، فقد سارع بإسناد الدور إلى (مدوح) ، الذي حضر ومعه صوان ملائمه ، وفي داخله التمثال الزجاجي الذي يمثّل (أشرف) ، في حالة من الرعب والألم .. وكان من الطبعي مادام (مدوح) و (أشرف) هما شخص واحد ، ألا يتقابلا مطلقاً .. ومن هنا كان افتعال حالة العداء المستحكم غير المرر بين الشخصين .. والعجيب أن أحداً لم يحاول فهم سبب هذا العداء ، الذي أثار دهشتي إلى حدّ كبير .. وبعد أن انتهى تصوير كل المشاهد الفردية ، جاء دور أول مشهد لابد أن يظهر فيه الاثنان .. كان من المستحيل بالطبع ، أن يظهر (مدوح) في شخصيته وشخصية (أشرف) في آن واحد ؛ ولذلك افعل حالة الغضب ، الذي أصاب (أشرف) ، واندفع في أسلوب تمثيلي إلى غرفته في شخصية (مدوح) ، وتعمّد أن يفلق الباب خلفه ، حتى لا يفسد أحد عليه عمله .

ضحك (مدوح) ضحكة قصيرة ، ولكنه لم يحاول
مقاطعة (نور) ، الذى استمر قائلاً :

— ودخل الغرفة المغلقة لعب الأستاذ (مدوح)
أعظم أدواره على الإطلاق .. لقد لعب دورى (مدوح)
و (أشرف) فى آن واحد ، حيث كانت حنجرته الذهبية
هى مظلة المسرحية بلا منازع .. لقد أخبرنى (عصمت)
كيف يبدل (مدوح) صوته فى طلاقة ومرونة .. وهكذا
أخذ الأستاذ (مدوح) يدير حواراً بينه وبين شخصية
(أشرف) الوهمية ، بكل ما فيه من غضب وصراخ
وكرامية ، وحق وسخرية .. وفى هذه الأثناء كان يخرج
التمثال الزجاجى من الصوان ، وينزع ثيابه (أشرف)
فيلبسها للتمثال ، ثم يزيل مكياجها المتقن ، ويتحوّل إلى
شخصية (مدوح) .. وبعد أن انتهى أخرج قطعة من
الفوسفور ، وأحرقها لتعطى هذا الصوت الذى يشبه
فحيح الأفاعى .

ابتسم (مدوح) ، وقال :

— بل كانت من الماغسيوم .
ضحك (نور) وتابع قائلاً :

— وبعد أن اطمأن إلى أن أجهزة الشفط والتكييف ،
قد أخفت كل أثر لنواتج احتراق الماغسيوم — وهذا
لا يستغرق أكثر من ثوان معدودة — فصح باب الغرفة ،
ورسم على وجهه الشحوب والذهول ، وأخبر العاملين
الذين تجمعوا خارج الغرفة أن (أشرف) قد تحوّل إلى
زجاج .. ولما كان معظمهم قد رأى (أشرف) يدخل إلى
الغرفة .. وكلهم تقريباً سمعوا الشجار بصوتى الرجلين ،
وكان من المستحيل إدخال التمثال ، أو إخراج جثة
(أشرف) الوهمى إلا من الباب الذى كانوا يقفون أمامه ،
فلم يكن أمامهم إذن إلا تصديق قصته برغم غرابتها .. هذا
يارفاقى هو حل اللغز بأكمله .

ساد الصمت فترة طويلة ، ثم سألت (سلوى) :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا فعل كل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— لقد أجاب قدوم (مشيرة محفوظ) عن هذا
التساؤل يا عزيزي .. ألم تسمعوها تقول بلسانها إن هذا
الحدث سيعيد الأستاذ (ممدوح) إلى الأضواء .. هذا
بالضبط ما كان يهدف إليه من كل هذه المسرحية المعقدة ..
أن يعود الناس إلى تذكر موهبته التمثيلية ، بل يصفقون لها في
إعجاب .. أن يعود إلى الأضواء بضجة تدفع المتسجين
والخارجين إلى التسابق للتعامل معه مرة أخرى .

ابتسم (رمزي) ، وقال :

— أوريثما أنه قد بدأ يشعر بالغيرة من شخصيته
الأخرى (أشرف البدوي) ، حيث شعر أنها ستحصل على
الشهرة التي ينبغي أن ينالها اسم (ممدوح خالد) .. نفس
الشعور راود (آرثر كونان دويل) ، حينما أصبحت
شخصيته التي ابتكرها (شيرلوك هولمز) ، أكثر شهرة
منه .

ابتسم (ممدوح) ، وهز كتفيه في لامبالاة ، ولكنه لم
ينطق بكلمة ، حتى سألته (نور) :

— هل أخطأت في شيء مما ذكرت يا أستاذ
(ممدوح) ؟

هز (ممدوح) رأسه نفياً في هدوء ، وقال مبتسماً :
— مطلقاً يا أذكى رجال الشرطة على الأرض .. لقد
قصصت الأمر كما لو كنت تعيش في أعماق منذ البداية .
نهض (عصمت) بجسده البدني فجأة ، ونظر في
عيني (ممدوح) ، وهو يقول في صرامة :

— هل تعني أن كل مقالته الرائد (نور) حقيقي ،
وأنك ظلمت تخدعني طوال الوقت في شخصيتي (أشرف)
(ممدوح) ؟ .. هل تعني أنك كنت تمثل طوال الوقت
وأنك خدعت الجميع ؟

ابتسم (ممدوح) في خجل ، وقال :

— نعم يا صديقي .. تقبل اعتذاري .. لم أستطع
مقاومة الفكرة حينما ألحّت على خاطري .. هل أغضبتك ؟
صاح (عصمت) ، وجسده البدني يرتج في قوة :
— نعم .. لقد أغضبتني .. أغضبتني إلى حد يجعلني
أطالب بترضية خاصة ، وأصرُّ على نيلها على الفور .

ابتسم (ممدوح) في خجل ، وقال :

— ما الترضية التي تطلبها يا صديقي ؟

تحولت صرامة (عصمت) إلى نظرة إعجاب ،

وقال :

— أن أحصل أنا على أول عقد بطولة توقعه للهولوسينا .

قفز (ممدوح) من مكانه ، وصاح في سعادة :

— يا إلهي !! هل تعني ما تقول يا (عصمت) ؟

صاح (عصمت) في جدل :

— أغنيى كل حرف منه يا أعظم ممثل على مر

العصور .. لقد قررت التخلي عن حذى المعهود ..

سأنتج أعظم فيلم في تاريخ الهولوسينا .. سأنتج قصة اللغز

نفسه .. سيعود إلى الشاشة المجسمة يا (ممدوح) ..

أراهنك أن اسم (ممدوح خالد) سيعود ليتألق في عالم

الفن .. من العار أن يبقى ممثل عظيم موهوب مثلك في طي

النسيان .

صاحت (مشيرة) ، التي كاد الجميع ينسون وجودها :

— يا إلهي !! إنه خير الموسم .. سأحصل على جائزة

أعظم تحقيق قيديو لهذا العام .. سأكون أول من يعلن خيـر

عودة (ممدوح خالد) إلى الأضواء ..

تنحنح (نور) ، وقال مقاطعاً إيّاها :

— معذرة أيها السادة .. لم أكن أحب أن أسئ إليكم

في هذه المناسبة السعيدة ، ولكننى مضطر لإلقاء القبض

على السيّد (ممدوح خالد) .. فلقد ارتكب جريمة إزعاج

السلطات .. معذرة .. إنه الواجب .



١١ - الختام ..

صاحت (سلوى) ، وهي تضع اللّمسات الأخيرة لمكيّاچها :

— أسرع يا (نور) .. متأنّحر عن حضور حفل افتتاح فيلم الأستاذ (ممدوح خالد) الجديد .

ابتسم (نور) ، وقال :

— لقد انتهت من ارتداء ثيائى منذ ساعة على الأقل يا عزيزتى ، ولكنك تضعين اللّمسات الأخيرة لمكيّاچك منذ ساعتين تقريبًا .

قطبت حاجبها ، وقالت فى غضب طقولى :

— يا لسخريتك هذه يا (نور) !! ألا تحب أن تبدو زوجتك جميلة ؟

ضحك (نور) وقال :

— كنت أظن أن أفلام المولوسينا ، تعرض فى قاعات مظلمة .

قالت فى حنق ، وهي تنهض :

— ولكنهم يضيئون الأنوار فى نهاية العرض .

هبط الاثنان إلى حيث سيارة (نور) الصاروخية ، ولم تكذب (سلوى) تتخذ مقعدها إلى جواره ، حتى سأله فى اهتمام :

— هل كان ضميرك سيؤتيك يا (نور) ، لو أنك ألقيت القبض على ممثل موهوب مثل (ممدوح خالد) ؟

هز رأسه نفياً ، وقال فى هدوء :

— ضميرى لا يؤتبنى مطلقاً يا عزيزتى ، مادمت أزدى واجبى .

قالت فى تحد :

— ولكن (ممدوح خالد) لم يسجن يوماً واحداً .

ضحك (نور) ، وقال :

— لأن تهمة إزعاج السلطات عقوبتها مجرد غرامة يا عزيزتى .

تهتدت فى ارتياح ، وقالت :

— هذا رائع !! من المؤسف أن يخسر الفن عبقرياً مثل

(ممدوح خالد) .

ابتسم (نور) وقال :

— لكل مجال عباقرة يا عزيزتى ، والآن استعدى ، فقد
وصلنا .

هبطت (سلوى) من السيارة فى عناية ، ثم تأبطت
ذراع زوجها ، وهمست فى أذنه بمزيج من الحث والدعابة :
— هل تعلم يا (نور) .. أن هذا اللغز أثبت نقطة أخرى ؟
سألها مبتسما :

— ما هى يا عزيزتى ؟

— أنه مهما بلغت عبقرية الآخرين ، فأنت دائما
المتصدر .. فى الواقع يا (نور) ومن المؤسف أيضا ، أن تخسر
المخبرات العلمية المصرية عبقرتيا مثلك ..
ضحك وقال :

— مهلا يا عزيزتى كيلا أصاب بالغرور .

هزت كتفها ، وهى تقول فى بساطة :

— لقد أصابنى بالفعل .. ألسنت زوجة أذكى رجل
مخبرات فى العالم ؛ باعتراف الجميع ؟

[تمت بحمد الله]